مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةissn 2261-7633

المجلد: الثالث 03 العدد: الثاني 02 السنة: 2020 ص.ص: 358 -372

الخطاب الحضاري في رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي

Civilized discourse in the novel of " his majesty the great father " habib mounsi

معلم صفاء، جامعة تبسة، (الجزائر) Safa.maalem@univ-tebessa.dz

تاريخ إرسال المقال: 2020/09/11 تاريخ قبول المقال: 2020-11-14 تاريخ نشر المقال: 31-12-2020

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التجليات الحضارية التي تستحضرها الرواية العربية ، و منها رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي التي تمثل الفعل الثقافي الذي يعكس الأصالة العربية الإسلامية في مواجهة العقائد الفاسدة ، بغية تصحيح مسار المجتمع الإنساني المعاصر و توجيهه وجهة صحيحة ، كما تمثل بعدا حضاريا عميقا رسم الروائي من خلاله حضارة مادية جافة أقبل عليها الإنسان و عان منها مرارة الحياة ، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في مواجهة الكاتب لمختلف الحضارات و التصدي لتحديات الرواية الغربية ذات التوجه الحضاري ، و لأي مدى لها القدرة على اقتحام الواقع العالمي الجديد و كيف رسم الكاتب أفق الرواية و ارتقى بها إلى أبعاد حضارية عالمية .

الكلمات المفتاحية : الخطاب الحضاري ، الحضارة ، الحضارة المادية ، العقائد .

Abstract: This study aims to reveal the cultural manifestations evoked by the Arab novel, including the novel of His Majesty the Great Father of Habib Munsi, which represents the cultural act that reflects the Arab-Islamic originality in the face of corrupt beliefs, in order to correct the course of contemporary human society and direct it correctly, as well as represent a deep cultural dimension through which the novelist drew through a dry physical civilization accepted by man and suffered the bitterness of life, as lies the importance of this study in confronting the writer of different civilizations and addressing the challenges of The Western novel with a civilized orientation, and to what extent it has the ability to break into the new world reality and how the writer drew the horizon of the novel and elevated it to the dimensions of global civilization.

Key words : Civilizational discourse, civilization, material civilization, dogmas

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةissn 2261-7633

المجلد: الثالث 03 العدد: الثاني 02 السنة: 2020 ص.ص: 358 -372

مقدمة:

تناولت رواية "جلالته الأب الأعظم" للكاتب الجزائري حبيب مونسي العديد من القضايا الكونية العالمية، فلم تنحصر في إقليم واحد أو حدود خاصة لدولة ما، وإنّما تجاوزت تلك الحدود العربية والإقليمية الضيقة لتتجه وتشتغل على الإنسان الذي يعد كونا صغيرا داخل هذا الكون الكبير، فهو الجزء الذي ينطوي فيه الكل وكلاهما وحدة كونية متماسكة، والتعمق في دراسة الكون الأصغر يؤدي إلى دراسة الأكبر منه، ومنه اشتغلت الرواية على كشف هواجس الإنسان بمفهومه الشمولي مثل (الوجود، الحضارة، الدين، القيم..)، ممّا جعلها تمتص من النسغ الحضاري بامتياز.فالحضارة قديمة قدم الإنسان لما لها من علاقة قوية تربطه والتاريخ، فهي مرآة تعكس الذات الإنسانية معبرة عن ثقافتها وفكرها، وتاريخها ومسيرتها. كما تعتبر هي كل ما حققه الإنسان من إنجازات ومن سلوك ومعارف وأفكار فقد «عرّف (ديورنت) الحضارة على أنّها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجية الثقافي وتتألف من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون »[1]. فكل العوامل الفكرية والمادية وكل ما عرفه الإنسان من منشآت وعادات وتقاليد كلها تفاعلت فيما بينها مكونة حضارة مجتمع، بذل فيها جهدا لتطوير مستوى معيشته، وعرّفها(مالك بن النبي):« أنّها مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي (البيولوجي) حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا روحها »[2]، ويضيف أيضا في كتابه " مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي": « الحضارة في الواقع يمكن تعريفها على أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره »[3].

كما عرفها (حسين مؤنس): « الحضارة في مفهومها العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية »[4].

ومنه فإنّ الحضارة هي نتاج كل جهد قام به الإنسان، جامعة في ثناياها كل من الجانبين المادي والمعنوي، وهي في مجموعها نتاج تداخل عناصر ثلاث، وهي الإنسان والتراب والوقت، مكونة الجانب المادي يجمع بينها المركب الديني ممثلا الجانب المعنوي، فيتكون مجتمع متطور.

1_ هيمنة الحضارة المادية المعاصرة:

مع إطلاق علماء الغرب حملات تدعو بالاهتمام بالعلوم المادية من رياضيات، فيزياء وكيمياء وغيرها، أخذت بذلك الحضارة المادية مكانة معتبرة في العالم ؛ فانطلق سباق الاختراعات الجديدة مع ظهور الثورة الصناعية، التي جعلت الإنسان الغربي يفرض سيطرته على العالم وعلى التفكير، فكان ذلك نوع من أنواع الهيمنة، « فجل مخترعاتهم ومعظم مبتكراتهم موجهة إلى الخراب والدّمار »[5]، وهذا ما أنتجته الدول الغربية للتحكم في شعوب العالم. حضارة تمكنت من بسط نفوذها إما بترغيب شعوب العالم بلافتات وشعارات مغرية، وإمّا بالترهيب بشتى الحروب المدمرة على الشعوب المستضعفة ؛ هي حضارة ولدت من خيالات الاكتشافات العلمية التي توصلت إليها عقول مفكرين وعلماء وبمجهودات معتبرة «فعلومهم، لم تكسبهم أخلاقا قوية، ولم تقربهم من الإنسانية الكريمة، إذ جعلوها وسيلة لسفك دماء الأبرياء، والقضاء على الضعفاء »[6]، حضارة ولدت من شهوات الناس وأوهامهم ومن رغباتهم في التطور وتجاوز حدود العقل، ومن نظرياتهم المتفرقة التي حاولت فهم هذا العالم وفك رموزه وشفراته، والغوص في خفاياه، فكان العلم هو الحل الوحيد للوصول إلى هذه الحضارة.

إنّ الغرب امتلك جميع عناصر القوة بمساعدة العلم المادي الذي ساهم في تطوير قوتها على العديد من الأصعدة، من قوة سياسية، اقتصادية وعسكرية، كلها كانت تحت تخطيط علمي، ومنه رسم الغرب لنفسه القيادة والسيادة، لكن هذه الحضارة المادية المعاصرة عانت بعض الأمراض الحضارية التي مست سابقتها من الحضارات، فهي استغنت عن أهم مقوم من المقومات التي تقوم على أساسها أي حضارة أرادت الإستمرارية والخلود وهو " المقوم الروحي "، فبداياتها كانت بمخاصمة الكنيسة، وعدم التعلق بأي عاطفة دينية، فقد بذلت جهدا في تغليب المادة على الروح، فانسحب الجانب الإنساني والروحي والقيم الأخلاقية والاجتماعية منها، « فقد أوغل الغربيون في المادة إيغالا شنيعا، وتورطوا فيها تورطا فضيعا، قصروا كل جهودهم عليها ووجهوا كل همهم إليها، جعلوها غاية، وبرروا في نيلها كل وسيلة »[7]، وأصبحت الغريزة المادية تتحكم وتسود العالم، حضارة خاضعة لمقاييس الكم، حملت صفاتها من اسمها، فهي مادية ولا تقيم وزنا إلا للمادة.

و في هذا السياق سلطت الرواية الضوء عن مختلف الجوانب التي جاءت بها الحضارة الغربية المادية، وذلك من خلال القضايا المطروحة على مستوى الأحداث و الانفتاح على أبعاد حضارية مستقبلية ؛ حيث ملئ الرف الغربي بالعديد من المؤلفات التي دعمت الفكر الماسوني والمسيحي والعلماني والتلمودي، بشكل صريح يدعو فيه إلى اِعتناق مثل هذه الديانات، وتصفها بالخلاص النهائي للبشرية.

ولأنّ الإنسان منذ أزله يعاني مشكلة الخلود والوجود والروح، فإنّه مال ببساطة نحو هذه المبادئ، نظرا لضعف روحه ولإيمانه الذي كان نتيجة للغزو الفكري الغربي، الذي عمل على تعمية الحقيقة أمام هذا الرجل الضعيف المستسلم، فعّل الغزو الغربي دياناته، بتشتيت المقولات الكبرى وتحليلها، فأنتج اللاحقيقة، واللامعنى والعدمية، ونشر الإباحية باسم الإنفتاح على التأويل والتحرر، وتداخلت الدلالات عن طريق خداع الحواس، وعملت على هدم العقل والمنطق والنظام والانسجام، وقد ساعدها في ذلك التطور التكنولوجي الهائل ، والوسائل المتطورة سريعة الانتشار والاستخدام وزحف العولمة المتسارع.

وباعتبار الرواية المعاصرة وعاء يلملم شتى الظواهر الاجتماعية والسياسية والعلمية والحضارية، فإنّها تلعب دورا كبيرا في نقل أي من هذه الظواهر، وتعد رواية " جلالته الأب الأعظم "، أحد الأعمال التي ترد على مزاعم المبشرين الجدد بالعقيدة المسيحية والماسونية، وتقف محاولة رد اعتبار الإسلام، الدين الخالد والمخلص الوحيد للبشرية دون غيره، وغاية ذلك كله هو رد اعتبار الكيان الإنساني ووجوده، وتنتشل روحه من ضيق الفكر الغربي، ويُرجع بذلك الكفة لغلبة الروح على المادة، ويعلي من شأن الحضارة الإسلامية التي لم ولن تسقط مادامت تقوم على الإسلام دينا خالدا وتعتز به وتنهض عليه، ومادامت الرؤية في الرواية ترتكز على الإسلام وتستشرف المستقبل عبر الجمع بين العقل والنقل، فهذا بالتأكيد يمكنها من التصدي للقيم الحضارية الغربية التي طالما فضلت المادة على الروح وعملت على تعميم هذا المبدأ في المجتمع الغربي في الوقت الذي تمتص فيه من القيم الإيجابية لهذه الحضارة ولهذا « على المشروع الحضاري أن ينطلق من جذور إسلامية لا تمنعه من الإلمام بالحضارة الغربية»[8].

بناء على ما تقدم يمكن القول بأن أهمية هذه الرواية تكمن في كونها مواجهة حضارية، وأثرا فنيّا يحتفظ بخصوصية إنسانية ذات بعد عميق، لأنها تحاور مرحلة اجتماعية وتاريخية حساسة في حياة الإنسانية، لأن «فترات الأزمة والتحول الاجتماعي العميق هي فترات ملائمة بالخصوص لميلاد أعمال فنية وأدبية كبيرة نتيجة لتعدد المعضلات والتجارب التي تطرحها هذه الفترات على الناس، ونتيجة لما تؤدي إليه من إنفساخ واسع أمام الأفق العاطفي والثقافي»[9].

2_ تزاحم العقائد:

تشهد الثقافات المعاصرة ما يشبه الانسداد في قنوات التواصل على الرغم من الجهود المبذولة بين الحين والآخر لكسر هذا الحاجز، كإقامة المؤتمرات والندوات...، ولعل هذا الانسداد شجع على الصراع بين العقائد والأديان، ومنه صارت مسألة التعدد الديني من أبرز المشكلات التي تواجهها الثقافات المعاصرة.

إنّ التزاحم العقدي والصراع الحضاري تولد عنه صراعات أخرى مسّت المجال الفكري والسياسي والاقتصادي وغيرها ؛ فالصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية شديدة الاحتدام منذ القدم، وقد

حصر (هنتجتون) وعلل مسائل الصراع القائم بينهما في أسباب دينية حين قال:« إنّ أسباب هذا النمط من الصراع (...) تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليهما الصراع، كان من ناحية نتيجة الاختلاف خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز ويرتبط بين الدين والسياسة، ضد المفهوم الغربي الذي يفصل بين مملكة الرّب ومملكة القيصر، كما كان الصراع نابعا من أوجه التشابه بينهما، كلاهما دين توحيد »[10]، ثم يضيف قائلا: « كلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية (نحن) و(هم)، كلاهما يدعي أنّه العقيدة الصحيحة التي يجب أن يتبعها الجميع، كلاهما دين تبشيري »[11].

و منه تقف رواية جلالته الأب الأعظم موقفا لافتا يتموضع في صلب هذا الصراع ؛ "فالعقل الجبّار " الآلة التي ساهمت في توجيه أحداث الرواية والذي كان محور الحديث حولها، هو عقل آلي تولى قيادة الدولة العالمية التي سيطر عليها جلالته أو العقل الإنساني الذي اِنقاد وراء أطماعه وأهوائه، فاقدا بذلك جل معاني النبل والإنسانية، دافعا بذلك العالم نحو الخراب الحتمي، إذ تحكمت فيه شهواته وأفكاره التي قادته إلى الغطرسة.

إنّ كل ما حل بهذا العقل الإنساني كان نتيجة اِتباعه للعقائد المحرفة التي شهدها العالم المعاصر من مسيحية وماسونية وتلمودية داعية العالم إلى الضلال وهي تتوارى خلف شعارات مزيفة. فالمسيحية وبعد أن طالها التحريف، اِنبرت تواجه الإسلام حتى صار في مقدمة أهدافها « اختراق دار الإسلام، ثم تمزيقها من قلبها، ثم الظفر بالكنوز التي كانت ولم تزل، تراود كل قلب ينبض في أوربة بأحلام شرهة مسعورة إلى الغنى والثورة والمتاع »[12]، ثم اتخذت لها أصواتا تعمل على ترسيخ وتثبيت العقيدة المسيحية ونشرها على أكبر نطاق ممكن عالميا ؛ لاستقطاب أكبر عدد من التابعين لها، وهدفها الأسمى بعد التحريف تمثل في خدمة الصهيونية العالمية، وتأمين الرفاهية لبنيها، ومنه مساعدتهم على بسط نفوذهم على العالم «فالأساس الأول هو الولاء لإسرائيل، وبهذا صار اللاهوت المسيحي خادما لإستراتيجية إسرائيل »[13]، ومنه فالمسيحية تسعى للقضاء على الدين الإسلامي وعلى وحدة الشعوب الإسلامية.

كما هو حال الماسونية، المنظمة السرية الإرهابية، التي تسعى للقضاء على مختلف الأديان وبخاصة المسيحية والإسلام، وأيضا تسعى إلى « تحطيم الحكومات وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الأخلاق والدين وإثارة الفتن التي تنتهي دائما لمصلحة اليهود »[14]، ساعية بذلك إلى بسط نفوذها على كافة المنظمات الدولية المختلفة، والتحكم في العالم والترويج لليهودية ونشر الأخلاق السيئة والبذيئة، ومحاربة المثل العليا والقضاء عليها، وتعميم مختلف الأفكار التي تمس الديانات. في مقابل هذا تسعى جاهدة إلى « تمجيد الشعب المختار وتحقيق سيادته على العالم والعمل على تأسيس دولة إسرائيل وتمجيد الديانة اليهودية والنيل من المسيحية والإسلام ونشر الإلحاد والانحلال الخلقي والتمزق الاجتماعي

بين الشعوب »[15].كل هذا يحدث باسم شعارات خادعة كالحرية والأخوة والمساواة، غير أن هذا ليس بصحيح « فالماسونية لا هدف لها إلا خدمة اليهودية العالمية وتأمين سيطرتها على العالم »[16].

فكل ما جاء في هذه العقائد من تضليل للحق، دارت حوله رواية جلالته الأب الأعظم، فالفتى موسى وهو في كنف جلالته شرب من هذه القيم العقدية المشوهة، فقد « كانت الديانات التي درسها من خلال بعض المخلفات الضئيلة المكتوبة، تحمل تناقضات كثيرة، ولا تعطي الصورة الحقيقية للخالق، بل تجعله إنسانا دقيق العود يموت مصلوب ليحمل خطيئة البشر، وتجعله ثالث ثلاثة، وأخرى تجعل منه شخصا نادما على تشتيت شعبه، وأخرى لم تصفه بوصفه بل اكتفت بكلمات يشكلها كل عقل حسب هواه »[17].

ومن خلال العنوان الفرعي الذي صاغه (حبيب مونسي)" الخطر القادم من المستقبل " يشير الكاتب وفق رؤية استشرافية إلى مصير الإنسان المعاصر في ظل دعوات الماسونية العالمية التي ترفض التاريخ والعقائد والقوانين والعادات، فتقود العالم إلى خطر مستقبل مجهول وإلى إنشاء دولة عالمية ترفع شعار تحرير العقل الإنساني من أنواع السيطرة والهيمنة، فجلالته خاطب الناس قائلا: " تعالوا أحبائي " [18]، وهي نداءات قائمة على شعار الحب بين النّاس ونبذ الكراهية، وهذه شعارات زائفة هدفها اِستمالة القلوب والتأثير الوجداني في النّاس، « تعالوا إلى مدينة جديدة، لا سيد فيها ولا مسود، إلى دولة لا تحمل من معاني الدولة ما ألفتموه أنتم، وآباؤكم، وأبناؤكم ومواليكم، وحكامكم من قبل »[19] ، وهي دعوة إلى بناء عالم جديد على أنقاض المجتمعات الإنسانية بعد أن يتم تفكيكها والقضاء على مقوماتها، ويتأسس هذا العالم الجديد على العدل والمساواة بين الناس وهي أدوات تأثير لجأ إليها الأب الأعظم لكي يستقطب إلى عالمه الجديد أكبر عدد من المريدين. «تعالوا نحطم القيود المفروضة علينا باسم الإيديولوجيات، باسم الديانات، والجنسيات»[20] ، وهي دعوة إلى الثورة على القوانين والقيم والمنظومات التي تؤطر العلاقات الإنسانية، وتضبط حياتهم كالأفكار والمعتقدات والقيم والهويات، « وباسم كل كاذب قام يوما في محفل من محافل يخدر العقول، ويصرفها عن مهارتها إلى دنس التخمين والافتراء»[21] ، وهي إشارة إلى ما سئمته الشعوب من وعود كاذبة حول مقترحات الإصلاح العالمي التي كانت تلقى على مسامعهم في المجالس العالمية والندوات الدولية والمؤتمرات الرسمية، على الرغم من أنّها كانت تسحر أذهانهم آنذاك، فتفقدهم عفّتهم وتصرفهم عن طهارتها إلى عوالم الجرائم والأكاذيب والسطو والنهب والسرقات وغيرها. ثم يضيف قائلا «تعالوا.. نقلب كراسي الحكم في كل مكان، ونكسّر أعوادها حكاما ومحكومين، ثم نحرقها في النّار المقدسة التي ستظهر في كل مكان، لتلتهم ركام الحضارات والثقافات والافتراءات.. نحرق كتبنا كلّها.. نحرق عاداتنا كلها.. لنولد من جديد.. لنولد من جديد كما ولد آدم »[22].

إنّ هذا المقبوس يحيل القارئ إلى مسألة تدافع العقائد وتضعه أمام صراع ثلاثي بين الإسلام والمسيحية والماسونية، وفي هذا السياق يمكننا إدراج ثلاثة أعمال روائية عكست بوضوح هذا الصراع ؛ فرواية " جلالته الأب الأعظم " المدافعة عن الدين الإسلامي والحامية لها والتي توجته دستورا للبشرية، تمثل ردا على الطرح الذي اعتمده الكاتب اليهودي ذي الجنسية الأمريكية (دان براون) (Dan brown) في روايته التي عرفت رواجا وشهرة في العالم الروائي المعنونة ب " شيفرة دافنشي " (The davinci code)التي يدور موضوعها الأساسي حول بشرية المسيح عليه السلام، ومنه تشويه الديانة المسيحية بالسعي لإثبات أنّ المسيح ليس ابنا للرب وأنّه قد تزوج بمريم المجدلية وأنّ نسله لا يزال موجودا للساعة.

أمّا الوثائق التي تؤكد هذه الأسرار هي أناجيل قديمة عثر عليها فرسان الهيكل وقاموا بتهديد الكنيسة بها، فوقع بينها وبين الفرسان اتفاقية سرية للاحتفاظ بالوثائق وعدم فضح السر وكشفه للنّاس، مقابل تقديم مناصب وسلطات لفرسان الهيكل، ومنه تم الاتفاق، يقول أحد شخصيات الرواية مؤكدا وكاشفا السر « إنّ الإنجيل هو كتاب من تأليف بشر، ولم ينزل بوحي من الإله، وهو لم يهبط بشكل خارق من الغيوم في السماء، فهو من إبتكار الإنسان، الذي ألفه لتسجيل الأحداث التاريخية في تلك العصور التي طبعتها النزاعات والفتن »[23]، وبهذه الكلمات اتضح جزء من السر الذي حفظته منظمة تدعى "أخوية سيون"، وهي منظمة ماسونية تابعة لفرسان الهيكل « أسست في القدس عام 1099 على يد ملك فرنسي يدعى "غودفروا دو بويون "حيث كان يحتفظ بسر عظيم، سر كان في عائلته منذ زمن المسيح خوفا من أن يضيع هذا السر بعد موته، قام بتأسيس جمعية سرية وهي أخوية سيون، وكلّف أعضاءها بحماية سره وذلك بنقله من جيل إلى جيل »[24] ، وقد ضمت هذه المنظمة العديد من الشخصيات المعروفة والفاعلة في التاريخ « منهم: بوتيشلي، والسير إسحاق نيوتن، وفيكتور هوغو (...) وليوناردو دافنشي »[25] ، حيث كان دافنشي عضوا فعالا ورئيسا لهذه الجمعية، هدفها الاحتفاظ بالسر لأنفسهم للوقت المناسب، لكنهم عن طريق مجموعة من الرموز حاولوا تسريبه مثل لوحات دافنشي ، والتي تعتبر مشبّعة برموز بشرية المسيح وزواجه بالمجدلية، خاصة في لوحته "العشاء الأخير"، فالرواية تؤكد أن الشخص الذي كان بجانب المسيح على يمينه ليس من الحواريين وإنما هي مريم المجدلية، وذلك لملامح الأنوثة في اللوحة، ومنه إشارة إلى زواج المسيح منها، تقول الرواية في أحد فصولها « سأعرض عليكم اللوحة الجدارية العشاء الأخير وهي أعظم تقدمة للأنثى المقدسة على الإطلاق.. قال أحدهم: أنت تمزح أليس كذلك كنت أعتقد أن موضوع لوحة العشاء الأخير هو المسيح فغمز لانغدون في تلك اللوحة رموز مخبأة في أماكن لا يمكن أن تتخيلوها »[26].

ومنه كان هدف الرواية ماسونيا وهو العمل على تشويه الديانة المسيحية والتشكيك في ألوهية المسيح، كما تهدف إلى تغليب الرموز الماسونية على حساب المسيحية، حيث أن الرواية مشبعة بتلك الرموز، منها النجمة الخماسية الماسونية والتي كانت شعار أخوية سيون، وهو الرمز الذي وجد على جثة أحد شخصيات الرواية بعد موته، « لقد رسم سونير رمزا بسيطا على جسمه وهو خمسة خطوط مستقيمة تتقاطع فيما بينها مشكلة نجمة ذات خمسة نقاط، رمز النجمة الخماسية »[27] ، وهذه النجمة هي من الرموز المعروفة في الديانة الماسونية فهي « رمز ديني وثني (...) عبادة الشيطان»[28]. كذلك الرقم " 666 " « هو من الأرقام المفضلة عند الماسون كونه يعطي للأشياء قوة »[29]، وقد ورد ذكره في الرواية عند الحديث عن الهرم الموجود في ساحة متحف اللوفر الذي « قد بني باستخدام 666 لوح زجاجي بالضبط »[30] ، والذي اتضح في آخر الرواية أنّ احتمال وجود الوثائق كان تحت هرم زجاجي في ساحة اللوفر، إذ يلمح الكاتب أن ذلك الهرم هو رمز للماسونية.

وبهذا يكون (دان براون) (Dan brown) قد صور أصحاب الكنيسة على أنّهم أهل خداع، وأن عقيدتهم قائمة على الغش على شعوب العالم، ممجدا في ذلك الشعب اليهودي والماسونية لحفظ سر المسيحية (بشرية المسيح)، ومنه إبراز فضائل الماسونية التي تدعى خدمة الإنسانية والعالم، وفق تعاليم الفطرة الإلهية السليمة، فرواية " شيفرة دافنشي"(The davinci code) مروجة لمبادئ الماسونية التي تدعي الصفاء الروحي وترفض كل ما له علاقة بالنظم والموروثات التاريخية والعقائد والتقاليد، وتستدرج العقول نحو مستقبل مظلم، حيث الدولة العالمية المستقبلية التي تنشد إلى تحرير الإنسان من كل القيود، وهذا ما يتنافى مع الشريعة الإسلامية الفطرية السليمة.

كما يمكن اعتبار أنّ (حبيب مونسي) قد ردّ أيضا على الطرح الذي قدمه الكاتب (غاري ويتا) (Gary whitta) في روايته " كتاب إيلاي " (The book of eli) التي تتضمن إرساء دعائم المسيحية على الساحة العالمية، حيث تبين الرواية الدور البالغ الذّي يؤديه الدّين في نشر الخير ومساعدة الضعفاء والمظلومين، وهي تؤكد قوة الله في توجيه البشرية « حيث تسير أحداث هذه الرواية عكس رؤية الغربيين المعادين للدين، فهي تمجده وتؤكد قوة الله، وتوضح من خلال البطل إيلي كيف أنّ الدّين يمكن أن نستخدمه في سبيل الخير ومساعدة الضعفاء »[31].

إذ تدور أحداث الرواية في زمن حلت فيه مصيبة كونية أدت إلى دمار كل ما على الأرض « وإن كانت الرواية لا تذكر بشكل مباشر سبب هذا الدمار، إلاّ أنّها تلمح إلى الجانب الديني كسبب رئيس »[32]. فبطل الرواية وُكّلت له مهمة العثور على نسخة من الكتاب المقدس الإنجيل الذي كان مدفون تحت الأنقاض، وهذا عن طريق صوت من السماء يعتقد أنّه صوت الله الذي وجهه إلى العثور عليه (الكتاب المقدس)،

ووعده بأن يحميه من أي شخص ومن أي شيء. داوم البطل على قراءة الكتاب إلى درجة حفظه ؛ إذ يحتوي على مجموعة من النبوءات وأسرار تنقض العالم من هذا الدّمار، فكان على استعداد للموت في سبيل الحفاظ عليه ؛ كونه يمثّل النسخة الوحيدة من الإنجيل في العالم، تتوالى الأحداث ويصل إيلي إلى بلدة تتزعمها مجموعة من اللصوص تحت رئاسة شخص يدعى "كارنيجي"، إذ كان يسعى هذا الأخير للحصول على الكتاب « يحلم ببناء المزيد من المدن والسيطرة على النّاس بإستخدامه»[33]، وبعد مجموعة من الأحداث يتفطن كارنيجي إلى أنّ الكتاب المطلوب عند إيلي، فيقع صراع بينهما فهو ليس مجرد كتاب، وإنّما هو سلاح بالنسبة له « يقول كارنيجي إنّه يريد كسب النّاس لكنّه يفتقر إلى الكلمات المناسبة لذلك الكتاب المقدس سيعطي له هذه الكلمات،و يرى الكتاب المقدس كسلاح موجه إلى عقول الضعفاء اليائسين »[34].

و في خضم المعارك التي دارت بين كارنيجي وإيلي، كان الأخير يمتلك قوة عجيبة ؛ إذ كان ينجو من طلقات الرصاص بشكل غريب لا يمكن تفسيره وكأنّه محمي بطريقة ما، «وهكذا يكتسب إيلي الحماية الإلهية حينما يتفادى الموت، فهذا الكتاب الذي يقرأه على الدوام هو من أمدّها إيّاه »[35]، لكن هذه الحماية لم تدم طويلا، ففي أحد المعارك أطلق عليه أحد القناصين رصاصة أصابته بدقة عالية فسقط لكن لم يمت، فسرق كارنيجي منه الكتاب، لكن إيلي أصرّ على الرغم من الجروح والآلام التي تحيطه أن يكمل الطريق إلى الغرب إلى مكان جمع الكتب، إلى المكان الذي ستعاد فيه بناء الحضارة الإنسانية من جديد، في الوقت نفسه «يعود كارنيجي إلى البلدة ليفتح القفل الموضوع على الكتاب المقدس، ليكشف أنّه مكتوب بطريقة بريل »[36]، فيتذكر عشيقته العمياء لكنها ترفض مساعدته، وقد كان كارنيجي في تلك اللحظات يعيش ساعاته الأخيرة لتعفن جرح في ساقه، فعرف أنّ موته قريب وأنّ رجاله بدأوا بالتمرد والعصيان. وصل إيلي إلى مكان المطلوب وبدأ في إملاء الكتاب المقدس الذي كان قد حفظه من قبل لحفظه بعد المداومة على قراءته لمدة ثلاثين سنة، وطبعت نسخة من الكتاب وانتشرت بين النّاس، وتظهر دعوة (غاري ويتا) (Gary whitta) للمسيحية كديانة قائمة بذاتها في الجزء الأخير، بوضع الكتاب على رف بين نسخة من التوراة من جهة ونسخة من القرآن من جهة أخرى، ويموت إيلي بعد مهمته بسبب الطلقة النّارية التي أصابه بها القنّاص.

وإذا كانت رواية كتاب إيلي تعترف وتقر بالطرق السلبية التي يمكن من خلالها أن تستخدم الدين من أجل السيطرة على النّاس، فإنّها تؤكد في النهاية قوة الله لتحقيق الخير حتى في الأوضاع الأكثر حرجا وصعوبة. كما تمثل أيضا هذه الرواية ردًا على ماسونية (دان براون) (Dan brown) فيصور(غاري

ويتا) (Gary whitta) في روايته "كتاب إيلي " بطلان دعوة اليهود وتؤكد على بقاء الإنجيل كتاب مقدس للمسيحية.

و عليه يمكن القول أن رواية جلالته الأب الأعظم توضع في إطار دائرة التدافع القائم بين العقائد والثقافات وهو ما يتموضع داخل حدود الحضارة الإنسانية، وتنافس غريمتها، وتواجه بقوة مسيحية (غاري ويتا) (Gary whitta) وماسونية (دان براون) (Dan brown)، وفق رؤية شمولية تفسح المجال أمام الكاتب للتجريب والإبداع،« وبما أن الدين كان يشكل محورا أساسيا في الصراع، فإننا نجده حاضرا في الكتابة الأدبية بصفة عامة وفي الرواية بصفة خاصة، وربما كان للرواية الحظ الأوفر من هذا الحضور، نظرا لأنها جنس يسمح بطبيعته باِحتواء الصراع حول الدين وباسمه »[37]، ولهذا فإنّ رواية جلالته الأب الأعظم قد مثلت عن جدارة أداة ثقافية في رد الفعل على الطرحين السابقين، وهي تحاول كشف حقيقتها وتطرح البدائل من أجل التغيير والدفع إلى الإصلاح الشامل.

كذلك عمل (حبيب مونسي) على إزاحة الستار عن خفايا الماسونية التي تطاولت على الديانات السماوية، من خلال رؤية استشرافية حاول تعرية أغراضها في الوقت الذي حذر فيه الإنسانية من الخطر القادم من المستقبل، وذلك ما لخصه العنوان الفرعي على الغلاف الخارجي للرواية " الخطر القادم من المستقبل "، والذي يعد بمثابة نبوءة دقّ من خلالها ناقوس الخطر الذي يهدد الإنسانية بفعل ما ينطوي عليه الماسونية من قيم هدامة وأفكار مغرضة. وقد دعم الكاتب رؤيته باعتماده القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين أساسيين في تحكيمها والبرهنة عليها وتقوية حجتها، وارتقائها إلى البعد الحضاري العالمي.

3_ الإسلام وحضارة الإنسان:

حملت رواية جلالته الأب الأعظم رسالة حضارية تدافع فيها عن الإنسان باعتباره قيمة مركزية في العالم، ولكونه قضية مهمة ؛ فالرواية اشتغلت على أزمة الوجود الإنساني بمعناه الشامل وقد آل الانهيار سبب هيمنة العقل المادي، وانزياح هذا الأخير نحو تحقيق مصالح الأقوياء على حساب الضعفاء، في الوقت الذي تحطمت فيه شخصية هذا الإنسان على يد مذاهب موهومة ديانات زائفة والتي حملت على هبة نفسه للآلهة حين «كانت تغري الإنسان بأن يتخلى عن إرادته في مقابل إرادة الإله، والظهور بمظهر العاجز»[38]. فالرواية عمدت إلى تصوير ما آلت إليه الإنسانية في ظل غياب الإسلام الذي عمل على حفظ كرامة الإنسان وتفضيله على سائر الكائنات، فالله خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه الكريمة، « فالإنسان مخلوق من قطبين متناقضين: واحد: الطين والآخر روح الله وهذا هو سر عظمة الإنسان »[39]، لكن ما إنْ غابت الروح وغلبت المادة على طبيعة الإنسان حتى غاب معها الوجود الإنساني، فجعلت منه كائنا عديم القيمة أمام غيره وأمام نفسه ؛ إذ هيمن عليه كل ما هو آلي وضاع وسط ضجيج الآلات،

وضاعت معه المشاعر وكل مفاهيمها التي عرفها واستنبطها من الديانات السابقة، فأضحى آلة إنسانية بلا مشاعر لا تحمل من صفة الإنسانية شيئا، يقول الفتى موسى« بحثت عن الإنسان وسط هذه الهمجية الآلية فلم أجد إلاّ صورا في أشكال آدمية تنتقل بسرعة نحو المجهول »[40]. فالحضارة التي بنيت وتمحورت حولها أحداث الرواية، حضارة مستقبلية مادية بحتة، كانت الآلة هي المسيطر الأول على حياة الإنسانية، استعبدت الإنسان، وسيطرت على عقله مغيبة في ذلك فكره الذي يمكنه من البحث عن الإنسانية، « لأنّ الإنسان في حاجة إلى تأمل.. إلى الخلوة يسترجع ما فاته، يعرضه على نفسه عرضا هادئا ليستخلص منه التجربة »[41]. فالدفء الإنساني ضائع وسط الآلات، أصاب الإنسان نوع من الغفلة الحائرة، غلبت على قلبه، فأوصلته إلى تحكم جلالته فيه كليا، فكأنّ لعنة أصابته، سلبت منه القدرة على التفكير والتمييز، خراب مسّه ومسّ عقله ونفسه وروحه، ماتت إنسانيته، وماتت كل معانيها « فلو راجع الإنسان نفسه يوميا لكانت الإنسانية بخير، ولكن الغفلة رانت على القلوب وأوصلتنا إلى ما نحن فيه الساعة »[42]. فكل ما حل بالإنسان كان أولا بسبب غروره واندفاعه نحو أهوائه وتهوره، وثانيا ضعف دينه وانقياده إلى إغواءات الدنيا وإلى المادة، مبتعدا في ذلك عن الروح السامية والتي هي اللبنة الأولى التي تخلق منها الإنسانية. لكن الكاتب أيقن في آخر روايته وأثبت أنّه لا حل لما آلت إليه الإنسانية في ظل هذه الحياة المادية وهذه الحضارة المتمزقة والخاوية، إلا دين يقيها شرّ هذا الكابوس المزعج، فانتصر للدين الإسلامي ؛ الدين الذي يؤمن سعادة الإنسان وراحته النفسية فيوجهه للطريق الصواب، وأنّ هناك خالقا يرعاهم ويرعى مصالحتهم، لا هدف له إلا الانصياع لأوامر الدين الحنيف، لضمان السعادة في الدنيا والآخرة « لأنّ الإنسانية في حاجة إلى عنصر طيب يعيد إليها توازنها »[43] ، فيقدم لهم الإسلام الوجهة الصائبة والطريقة السليمة التي تساعدهم في الخروج من العبودية المسرفة التي جرتها الإنسانية على نفسها.

خاتمة

وفي الأخير نصل إلى خاتمة مفادها أنّ الإسلام هو دين الله الأنسب والتي يسعى إلى إعادة تأهيل وتربية للأحاسيس والمشاعر الإنسانية، وحتى وإن ظل الإنسان فمصيره في النهاية الرجوع إلى الله، وهذا ما أكدت عليه الرواية ، في أنّ الإنسان مركز الكون، وبانحطاطه تنحط كل القيم، فهو خير دين لإنقاذ البشرية والإنسانية من كل بطش أو ظلال، كونه يعمل ويرتكز على تغليب الروح على المادة، إذ هو« جعل للقوة الروحية المكانة الرفيعة، والكلمة العليا، والسيطرة الكاملة »[44]، فالإنسان مكرم في الإسلام لقوله تعالى:{۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ}[45].

إلا أنّ هذا الزمان المادي الذي عاشه مجتمع الرواية كان فيه الإنسان منتهكا، مسلوب العقل والفكر والإدراك والدين، مكرها على الاعتقاد بغير دين الله تعالى، مجبرا على التخلي، لكن الغلبة دائما للحق ولدين الإسلام.

التهميش:

[1]– السامرائي نعمان عبد الرزاق: نحن والحضارة والشهود، ط01،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة–قطر ، 2001، ص62.

[2]– مالك بن النبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين،(د.ط)، دار الفكر، دمشق–سوريا، 1986، ص43.

[3]– مالك بن النبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، (د.ط)، دار الفكر، دمشق–سوريا، 2002، ص 42.

[4]– مؤنس حسين: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص13.

[5]– بهنسي محمد عبد الرؤوف: الإسلام بين المادية والروحية، مكتبة دار العروبة، القاهرة–مصر، (د.ط)، 1963، ص 157.

[6]– المرجع نفسه: ص 158.

[7]– المرجع نفسه ،ص157.

[8]– جعفر صفاء عبد السلام: الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتدهور" رؤية نقدية في فلسفة الحضارة"، ط01،دار الثقافة العلمية، الإسكندرية–مصر، 1998.، ص 138.

[99]– غولدمان لوسيان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، (ط02)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت–لبنان، 1986، ص29.

[10]– هنتجتون صامويل: صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، مركز روكفالار، شارع أمريكا، نيويورك، 1996، تر: طلعت الشايب، ط02، (د.د.ن)، (د.ب.ن)، 1999، ص 340.

[11]– المرجع نفسه: ص 340،341 .

[12]– شاكر محمود محمد: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، (ط1)، 1997، ص 51

[13]– شرتيخ فاخر أحمد: المسيحية الصهيونية نشأتها وتطورها –دراسة تحليلية–، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة–فلسطين، 2005، ص 4.

[14]– التل عبد الله: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية،(د.ط)، دار القلم، مصر الجديدة–مصر، 1964، ص 151.

[15]– محمد صفوت السقا أمين، سعدي أبو حبيب: الماسونية، ط02، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة– السعودية، 1982، ص 194 ،195.

[16]– التل عبد الله: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (مرجع سابق)، ص 143.

[17] : مونسي حبيب : جلالته الأب الأعظم ، " الخطر الآتي من المستقبل "، (د.ط)، دار الغرب، وهران– الجزائر، 1999، ص 166

[18] _ المرجع نفسه : ص44 .

[19] _ المرجع نفسه : الصفحة نفسها

[20] _ المرجع نفسه : الصفحة نفسها

[21] _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

[22] _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

[2323]– براون دان: شيفرة دافنشي، تر: سمة محمد عبد ربه، ط01،دار العربية للعلوم، 2004، ص259.

[24] : المرجع نفسه ، ص 117 ،118

[25] : المرجع نفسه ص129

[26] : المرجع نفسه ص112

[27] : المرجع نفسه ص 46

[28] : المرجع نفسه ص 47

[29]– راديدو: الشفرات الماسونية في رواية " شيفرة دافنشي "، نشر بتاريخ: 24نوفمبر2005، موقع الأنترنت: www.adjjad.com//: http، تاريخ الزيارة: 2019/03/15.

[30] : براون دان: شيفرة دافنشي ،ص 31

[31] -porter،Adam L.(2016)< the book of eli > ،journal of religion. film: vol.14:Iss.1، article 23 ،university of Nebraska ،U.S.A:p 01.

[32] -loc cit: p 01.

[33]– ويكيبيديا الموسوعة الحرة: كتاب إيلاي، (د.ت)، موقع الأنترنت: https:dr.wikipidia.org ، تاريخ الزيارة: 2019/02/12

[34] – porter،Adam L.(2016)< the book of eli >، op cit، p: 02.

[35] -porter،Adam L.(2016)< the book of eli >: loc cit ،p 03.

[36]– ويكيبيديا الموسوعة الحرة، (مرجع سابق).

[37]– مخلوف عامر: تحولات الرواية تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، ،(د.ط)، مديرية الثقافة برج بوعريريج، الجزائر2006، ص173.

[38]– شريعتي علي: الإنسان والإسلام، تر: عباس الترجمان، ط02، دار الأمير، بيروت–لبنان، 2007، ص 10.

[39]– المرجع نفسه: ص 18، 19.

[40] : مونسي حبيب ، جلالته الأب الأعظم ، ص7

[41] : المرجع نفسه ، ص27

[42] : المرجع نفسه ، ص 51

[43] : المرجع مفسه ، ص137

[44]– بهنسي محمد عبد الرؤوف: الإسلام بين المادية والروحية،(مرجع سابق)، ص 95.

[45]– سورة الإسراء، الآية 70.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن الأمام نافع

أ– المصادر :

1– مونسي حبيب: جلالته الأب الأعظم " الخطر الآتي من المستقبل "، دار الغرب، وهران– الجزائر، (د.ط)، 1999.

2– براون دان: شيفرة دافنشي، تر: سمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم، بيروت–لبنان، (ط1)، 2004.

ب– المراجع :

أولا: الكتب

1_ النل عبد الله: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية،(د.ط)، دار القلم، مصر الجديدة–مصر، 1964

2_ السامرائي نعمان عبد الرزاق: نحن والحضارة والشهود، ط01،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة– قطر ، 2001

3_ بهنسي محمد عبد الرؤوف: الإسلام بين المادية والروحية، مكتبة دار العروبة، القاهرة–مصر، (د.ط)، 1963

4_ جعفر صفاء عبد السلام: الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتدهور" رؤية نقدية في فلسفة الحضارة"، ط01، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية–مصر، 1998

5_ شاكر محمود محمد: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، (ط1)، 1997

6_ شريعتي علي: الإنسان والإسلام، تر: عباس الترجمان، ط02، دار الأمير، بيروت–لبنان، 2007

7_ غولدمان لوسيان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، (ط02)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت–لبنان، 1986

8_ مالك بن النبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين،(د.ط)، دار الفكر، دمشق–سوريا، 1986

9_ مالك بن النبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، (د.ط)، دار الفكر، دمشق–سوريا، 2002

10_ محمد صفوت السقا أمين، سعدي أبو حبيب: الماسونية، ط02، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة–السعودية، 1982

11_ مؤنس حسين: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1978

12_ هنتجتون صامويل: صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، مركز روكفالار، شارع أمريكا، نيويورك، 1996، تر: طلعت الشايب، ط02، (د.د.ن)، (د.ب.ن)، 1999

ثانيا: الرسائل و المذكرات

13_ شرتيخ فاخر أحمد: المسيحية الصهيونية نشأتها وتطورها –دراسة تحليلية–، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة–فلسطين، 2005

ثالثا : المقالات

_porter،Adam L.(2016)< the book of eli > ،journal of religion. film: vol.14:Iss.1، article 23 ،university of Nebraska ،U.S.A:

رابعا : أشغال الملتقيات

_ مخلوف عامر: تحولات الرواية تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، ،(د.ط)، مديرية الثقافة برج بوعريريج، الجزائر2006.

خامسا : المواقع الإلكترونية

_ راديدو: الشفرات الماسونية في رواية " شيفرة دافنشي "، نشر بتاريخ: 24نوفمبر2005، موقع الأنترنت: http://www.adjjad.com ، تاريخ الزيارة: 2019/03/15.

_ ويكيبيديا الموسوعة الحرة: كتاب إيلاي، (د.ت)، موقع الأنترنت: https:dr.wikipidia.org ، تاريخ الزيارة: 2019/02/12